Journal Of the Iraqia University (73-10) August (2025)

ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.mabdaa.edu.iq

صفات الماء في القرآن الكريم دراسة دلالية

عمر فاروق إبراهيم ياسين
جامعة الحمدانية/ كلية التربية للعلوم الإنسانية /قسم اللغة العربية
بإشراف الأستاذ الدكتور هاني صبري آل يونس

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن بلسان عربي مبين، وتجلّت فيه أسرار البلاغة وروائع البيان، وجعل فيه من المعاني والدلالات ما يَروي ظمأ الباحثين، ويهدي الحائرين ويزيد المؤمنين يقينا، والصلاة والسلام على خير من نطق بالضاد سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّمَ تسليمًا كثيرا.لقد حاز القرآن الكريم مكانه عظيمة في نفوس المؤمنين، فهو كتاب الله الخالد، ومعجزة نبيه الخاتم ونبع لا ينضب من المعاني والحقائق والتأملات. ومن بين الظواهر التي تستحق التوقف والبحث، ما يتصل بالدلالة القرآنية للألفاظ ذلك لأن ألفاظ القرآن لم تستخدم عشوائيا، بل جاءت في غاية الدقة ، محملة بدلالات تتجاوز ظاهر المعنى، وتعكس غايات بلاغية وتشريعية وروحية سامية وفي هذا السياق، يبرز الماء بوصفه واحدا من أكثر الألفاظ حضورًا في القرآن الكريم سواء من حيث تكرار اللفظ او تنوع السياقات التي ورد فيها. فالماء في القرآن ليس مجرد مادة فيزيائية تستخدم للزرع او الشرب، بل هو رمز مركزي للحياة والموت، للنقاء والعذاب، للبداية والنهاية. ومن هنا كان من اللافت للنظر أن يوصف الماء في القرآن الكريم بعدة صفات، تنوعت وتغايرت حسب الموقف والسياق، مما يطرح تساؤلات دلالية عميقة عن مغزى هذه الصفات وعلاقتها بالمفاهيم القرآنية الكبرى. من بين هذه الصفات على سبيل المثال: الحميم، الفرات، المهين، الغور .إن هذه الصفات وغيرها لا تقتصر على الوصف الحسي فحسب، بل تحمل في طياتها أبعادا دلالية عميقة، تعبر عن مفاهيم العقيدة، والبعث والجزاء، والخلق، والطهارة، والرحمة، والعذاب، والقدرة الإلهية المطلقة. وهنا تتجلى روعة البيان القرآني الذي يحيل اللفظ البسيط الى مفهوم مركب، ويعطي المفردة القرآنية معانٍ دلالية غنية تتجاوز ظاهرها

التمهيد

الصفة لغةً و اصطلاحًا

لغةً ذكر ابن فارس بأنّها: "الصفة الأمارة اللازمة للشيء"[١]. والصفة الأمارة أي أنّ هذا الشيء اصبح متصفًا بهذه الصفة. أمّا الخليل بن أحمد عرّف الصفة فقال: " النعت وصفك الشيء بما فيه، ويقال: النعت وصف الشيء بما فيه إلى الحُسن مذهبه إلا أن يتكلف متكلف فيقول: هذا نعت سوء"[٢]. وأمّا الزمخشري عرّف الصفة: " بأنها الصفة الدال على بعض أحوال الذات"[٣]. فالصفات يُراد بها إطلاق المعنى وعمومه للموصوف بأفعاله وأحواله لا يخلق فيه او علامة في ذات جوهره، في حين إنّ النعوت خاصة، لأنها تستعمل فقط فيما يتغير من الجسم، ولذلك لا يجوز إطلاقها على الله عزّ وجل.[٤] فعلى ضوء مما سبق من تعاريف النحاة وأهل المعاجم فإنّ الصفة تعني اتصاف الشيء بالحسن او يخرج إلى التكلف إذا قصد الذم.

اصطلاحًا

١. عرّف السهيلي النعت فقال: " تخصيص الاسم لصفةٍ هي له، أو لسبب يضاف إليه"[٥]. وعرّف ابن أبي الربيع النعت بقوله: " هو الاسم الجاري على ما قبله لإفادة وصف فيه أو فيما هو من سببه، فإن أفاد وصفاً فيه كان نعتاً حقيقياً، ولزم أن يتبعه في أربعة من عشرة؛ واحد من الرفع والنصب والجر، وثان من الإفراد والتثنية والجمع، وثالث من التعريف والتنكير، ورابع من التذكير والتأنيث، فإن أفاد وصفاً فيما هو من سببه كان نعتاً سببياً، ولزم أن يتبعه في اثنين من خمسة، واحد من الإعراب، وثان من التعريف والتنكير"[٦].

٢. وحدد ابن أبي ربيعة الأوصاف في أربعة امور هي: "أحدها: حلى: وهي الصفات الظاهرة نحو الكحل، والزرق، والعرج. والآخر: غرائز: وهي الصفات الباطنة، نحو الجبن، والشجاعة، والعقل، والحمق. والثالث: أفعال: نحو الضرب والنّحر، وغير ذلك مما فيه علاج البدن. والرابع نسب: نحو: قُرشّي، مدني، مكيّ"[٧].

٣. و في تعريف آخر عن الصفة: "أما الصفة، فتختص بالاسم وتكون في غالب الأحوال مشتقة من الفعل كالقائم والقاعد، أو في معنى المشتق من الفعل، كالمنسوب إلى الحلية، مثل: الأبيض والأسود، أو إلى الخُلُق، مثل: الكريمِ والبخيل، أو إلى أب مثل: بكري وقُرشي، أو إلى بلد مثل مكي، وبصري، أو إلى صناعة مثل:بزار، أو خباز، أو يوصف بـ(ذي) التي بمعنى صاحب"[٨]. وعرّف الصفة ابن الناظم معرفا الصفة : "الصفة ما دل على حدث وصاحبه"[٩].واتفق معه من المحدثين الدكتور تمام حسان إذ قال: " الصفة هي كل كلمة تدل على موصوف بالحدث"[١٠].

٤. وقام ابن عقيل بتقسيم الصفة إلى أربعة أقسام[١١]، وهي:

٥. اسم الفاعل.

٦. ٢اسم المفعول.

٧. ٣أفعل التفضيل.

٨. ٤الصفة المشبهة.

٩. الدلالة

١٠.لغةً

١١. وتعني الدلالة بأنها الطريق إذ ذكر الزمخشري: " دُلّه على الطريق، وهو دليل المفازة وهم أدِلاؤها، وأدللت الطريق اهديت إليه"[١٢]. وقال الراغب الأصفهاني إنّ مصطلح الدّلالة يجيء بكسر الدال، وتعني : ما يتوصل به إلى معرفة الشيء.[١٣] أمّا في لسان فقد جاءت في مادة دلل وجاء فيها: دله على الشيء يدلُهُ دلًا. والدليل: ما يستدل به. والاسم الدِّلالة والدَّلالة بالكسر والفتح.[١٤]

١٢.الدلالة اصطلاحًا

١٣.الدلالة في الاصطلاح تعني (الاستدلال)، وهي شقان: دالّ ومعنى، فالدال هو المتولد من المعنى الاصلي. أما المعنى فمتولد من: ما يُمكن كل ناظر أنْ يستدل على الشيء كذكر الخالق و الدلالة عليه، والاستدلال: وهو الفعل الذي يقوم به المُستدل.[١٥]

١٤. وعرّف أبو هلال العسكري الدلالة فقال: إنّ الدلالة تكون على أربعة أوجه ، أحدها: ما يمكن أن يستدل به قصد فاعله ذلك أو لم يقصد،... والثاني العبارة عن الدلالة، يقال للمسؤول أعد دلالتك. والثالث: الشُّبهة، أي شبهته. والرابع: الأمارَات: يقول الفقهاء : الدلالة من القياس كذا، والدليل فاعل الدلالة.[١٦]

١٥. وعلى ضوء ما سبق فالدلالة تكون إشارة الى معنى يفهم المتلقي منه أمرًا معينا. فهي قد تكون كلامًا مفهومًا، أو إشارة باليد، أو رمزًا دالًا على شيء مفهوم. فهي تدل على إيضاح امرًا غامضًا.

المبحث الأول: الماء الدافق

١٦. يعود اصل اللغة إلى: " دفق: الدال والفاء والقاف اصل واحد مطرد قياسه وهو رفع الشيء وهو دفع الشيء قدما"[١٧]. وقيل ايضًا: "دفقت الماء ادفقه دفقا اي: صببته، فهو ماء دافق اي مدفوق"[١٨]. وذُكر فيها: "التدفق التصبب"[١٩]، وجاء عنها: "دفق الله روحه اماته"[٢٠].

١٧.دافق عند المفسرين

١٨. وردت لفظة (دافق) مرة واحدة في القران الكريم قال تعالى: ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝٦﴾ [الطَّارِق : ٥ - ٦]. فمعنى دافق اسم الفاعل بمعنى المفعول كقولهم سر كاتم اي مكتوم، ودفق فعل قاصر اي لازم عند بعض اللغويين غير ان الجمهور على انه لا يستعمل دفق قاصرا. ودافق في الآية بمعنى خارج بقوة وسرعة[٢١] . وفي تفسيره الآية قيل: "(فلينظر الانسان مما خلق) يقول في ذكره فلينظر الانسان المكذب بالبعث بعد الممات، المنكر قدرة الله على احيائه بعد مماته[٢٢]. وعن قوله:(مما خلق) استفهام جوابه خلق من ماء دافق والدفق: صب فيه دفع ومعنى دافق النسبة الى الدفق الذي هو مصدر دفق. كما للابن والتآمر او اللاسناد المجازي[٢٣]. وجاء في تفسير ابن جزي: "المقصود بالآية اثبات الحشر، فامر الانسان ان ينظر اصل خلقه ليعلم إنّ الله الذي خلقه من هذا الماء لقادر على ارجاعه الى الحياة بعد الموت "[٢٤]. والدفق في الحقيقة لصاحبه، ولم يقل: من ماءين لامتزاجهما في الرحم واتحادهم حين ابتدئ في خلقه[٢٥]

١٩.

دافق عند المستوى الصرف والمستوى النحوي

و تُعرب كلمة دافق بأنها نعت للماء ودافق نعت لماء أي مدفوق أو هي من صيغ النسب كلابن وتامر أو هو مجاز بالإسناد فقد أسند إلى الماء ما لصاحبه مبالغة[٢٦], تنوعت الآراء حول مفردة فهي كالاتي: **الرأي الأول:** ان مجيء (فاعل) بمعنى (مفعول) استعمال لهجي مطرد عند أهل الحجاز خاصة، وذلك عندما يكون في مذهب نعت، وان من أسباب مجيئه في القرآن الكريم مراعاة الفواصل، قال في تفسير قوله تعالى (من ماء دافق) : "أهل الحجاز افعل لهذا من غيرهم، ان يجعلوا المفعول فاعلاً اذا كان في مذهب نعت، كقول العرب: هذا سر كاتم، وهم ناصب، وليل نائم، وعيشة راضية، واعان على ذلك انها توافق رؤوس الآيات التي هن معهن"[٢٧] **الرأي الثاني:** انه ليس من اختصاص لهجة دون أخرى، بل هو مستعمل عند عامة العرب إلا انه مقيد عندهم بإفادة المدح او الذم، والعرب تقول: "هذا ليل نائم، وسر كاتم، وماء دافق، فيجعلونه فاعلاً، وهو مفعول في الاصل، وذلك: انهم يريدون وجه المدح او الذم، فيقولون ذلك لاعلى بناء الفعل، ولو كان فعلاً مصرحاً لم يقل ذلك فيه، لانه لايجوز ان تقول للضارب: مضروب، ولا للمضروب: ضارب، لانه لامدح فيه ولاذم"**الرأي الثالث:** إن دلالة فاعل على المفعول دلالة مطلقة غير مقيدة بلهجة او مدح او ذم، وانما هي كدلاله (فعيل) وغيره على مفعول مستدلاً على ذلك بان ما ورد من هذا القبيل ليس له فعل مبني للفاعل، وانما هو من فعل مبني للمفعول قال: "ولا تنكرن ان يخرج المفعول على فاعل، الا ترى قوله: (من ماء دافق) فمعناه والله اعلم: مدفوق، وقوله (في عيشة راضية) معناها مرضية ... تستدل على ذلك انك تقول: رضيت هذه المعيشة ولاتقول: رضيت ودفق الماء ولاتقول: دفق"[٢٨] .ولم يستبعد ابن مالك ان يقع (فاعل) موقع (مفعول) كما يبدو من قوله: "... وربما خلف فاعل مفعولاً ..."[٢٩] ، في حين يرى ابو جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ) : "... فاعل بمعنى مفعول فيه بطلان البيان ولايصح ولاينقاس ولو جاز هذا لجاز ضارب بمعنى مضروب"[٣٠]

دافق عند المستوى البلاغي

أما البلاغيون عدّوا وقوع إحدى هاتين الصيغتين (فاعل ومفعول) موقع الأخرى ضرباً من المجاز العقلي، لان الفعل في (راضية) ونحوها اسند إلى غير فاعله الحقيقي اسند ما بني للمفعول الى الفاعل، قال الشريف الرضي: "... وكان الوجه ان يقال في (عيشة راضية) ، مرضية ولكن المعنى خرج على مخرج قولهم: شعر شاعر وليل ساهر، اذا شعر في ذلك الشعر وسهر في ذلك الليل، فكانهما وصفا بما يكون فيهما لابما يكون منهما، فبان ان تلك العيشة لما كانت بحيث يرضى الإنسان فيها حال جاز أن توصف هي بالرضا، فيقال (راضية) على المعنى الذي أشرنا إليه"[٣١]، و هو رأي الخطيب القزويني[٣٢]، وعدّ آخرون ما جاء على (فاعل) بمعنى (مفعول) ضرباً من المجاز المرسل لعلاقة الاشتقاق[٣٣].

اعجاز المعنى السياقي للفظة دافق

قيل في (دافق) أنّها أتت بمعنى "مدفوق" وتظهر في هذه الصيغة دلالات الحدوث والثبوت والمبالغة[٣٤]. يبين سبحانه وتعالى بعدهما خلقًا آخر، هو خلق الإنسان من ماء، ثم تعرض السورة خلق الزرع من ماء المطر، والأرض تتصدع ويخرج منها الزرع بعد أن نزل عليها المطر؛ فنقطة ماء الرجل تدخل رحم المرأة فيخرج المولود بعد أن كان جنينًا في رحم أمه، والمطر ينزل إلى رحم الأرض فيخرج الزرع المختلف، وهذا يبين عظمة خلق الإنسان والكون، وعظمة الخالق الذي جعل طريقة الخلق واحدة، ولو كان هناك آلهة متعددة لتعددت طرق الخلق، ناهيك عن أن الذي خلق هذا الإنسان في أول نشأته من العدم قادر على أن يبعثه بعد موته، وجاء هذا القرآن ليؤكدها في سورة الطارق، ويوضح أنه معجزة وحق وما هو بالهزل ردًا على من شكك به من كفار مكة وعمل على النيل منه.و لو تأملنا صفات كلمة دافق لتناسبت مع معناها الذي يدل على القوة فالصفات هي :الدال: جهر، شدة، استفال، انفتاح، قلقل الفاء: همس، رخاوة، استفال، انفتاح القاف: جهر، شدة، علو، انفتاح، قلقلة و امر اخر جاء في تناسب الكلمة مع المعنى العام للسورة فهي دلالة على قدرة الله العظيمة في تكوين الخلق من العدم و إنشاء الحياة من اللاشئ ففي بداية السورة اقسم عزّ وجلّ بالطارق و هو النجم الثاقب الذي يعتلي الظلمات في هذا الكون و لا يعلم علوهُ إلا الله سبحانه و تعالى فقدرته إرادة الله عزّ و جلّ شاءت بأن نرى هذا النجم المنير لندبر في عظمة و قدرة خلق الله تعالى .

المبحث الثاني: الماء الطهور

طهورا اسم للماء فهو كل ماء نظيف كما جاء في معجم العين: «والطَّهُور: اسم للماء الذي يُتَطَهَّرُ به، كالوضُوء للماء الذي يُتَوَضَّأُ به. وكلّ ماء نظيف اسمه طهُور.»[٣٥]، واصل الكلمة يعود الى (طهر): «طَهَرَ الطَّاءُ وَالْهَاءُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى نَقَاءٍ وَزَوَالِ دَنَسٍ. وَمِنْ ذَلِكَ الطُّهْرُ، خِلَافُ الدَّنَسِ. وَالتَّطَهُّرُ: التَّنَزُّهُ عَنِ الذَّمِّ وَكُلِّ قَبِيحٍ. وَفُلَانٌ طَاهِرُ الثِّيَابِ، إِذَا لَمْ يُدَنَّسْ. وَالطَّهُورُ: الْمَاءُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا}[٣٦]. وَسَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ هارُونَ الثَّقَفِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ يَحْيَى ثَعْلَبًا يَقُولُ: الطَّهُورُ: الطَّاهِرُ، فِي نَفْسِهِ، الْمُطَهِّرُ لِغَيْرِهِ.»[٣٧]،و قالوا في الطُهر بأنه الختان عند المسلمين كما قيل: «يُقَال طَهَّرَ فلانٌ ولَدَه: إذا أَقَامَ سُنَّةَ خِتَان؛ وَإِنَّمَا سَمَّاه الْمُسلمُونَ تَطْهِيرا لِأَن النَصارى لما تَرَكُوا

سنّة الخِتان غَمَسوا أولادَهم فِي ماءٍ فِيهِ صِبْغٌ يُصَفِّر لَوْنَ الْمَوْلُود، وَقَالُوا: هَذَا طُهْرَةُ أَوْلَادنَا الَّتِي أُمِرْنا بهَا، فَأَنْزل الله جلَّ وعزَّ: {صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً}[٣٨] ،أَي اتّبعوا دينَ الله وفِطْرَتَه وأمرَه، لَا صِبْغة النَّصَارَى، فالخِتان هُوَ التَّطْهِير، لَا مَا أَحْدَثه النّصارى فِي صِبغة الْأَوْلَاد.»[٣٩].و جاء ايضًا بأنه الثوب القصير: «وَقَالَ بَعضهم: {فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ}[٤٠] : أَي قَصِّرْ، فإِنَّ تَقْصِير الثِّياب طُهرٌ.»[٤١]. وقيل عن الطهر: «الطهر: خلاف الدنس.»[٤٢].و ذُكِر أيضاً: «طهر: طهر الشيء وطهر أيضا بالضم، طَهارَةً فيهما. والاسم الطُهْرُ.»[٤٣].و ذُكرت لفظة في معجم المعاني بأنّها: «الطُّهْرُ: نقيض النَّجَاسَة، وَالْجمع أطهار، وَقد طَهَرَ يَطْهُرُ، وطَهُرَ، طَهْراً وطَهارَةً، والمصدران عَن سِيبَوَيْهِ... قَالَ ابْن جني: جَاءَ طاهِرٌ على طَهُرَ، كَمَا جَاءَ شَاعِر على شعر ثمَّ استغنوا بفاعل عَن فعيل»[٤٤].و بيَّنوا ايضًا: الطُّهْرُ: «نَقِيضُ الحَيْض»[٤٥].

طهورًا عند علماء التفاسير

أخذ المفسرون في شرح مفردة طهورًا فتباينت أرآهم في دلالة المفردة في قوله تعالى: {وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا}[٤٦]وذكر القرطبي أنّ للفظة خمس عشرة مسألة[٤٧]. وأول القول حول مفردة طهورًا: «آلَةً يُتَطَهَّرُ بِهَا، كالسَّحُور وَالْوَقُودِ وَمَا جَرَى مَجْرَاهُ. فَهَذَا أَصَحُّ مَا يُقَالُ فِي ذَلِكَ. وَأَمَّا مَنْ قَالَ: إِنَّهُ فَعُولٌ بِمَعْنَى فَاعِلٍ، أَوْ: إِنَّهُ مَبْنِيٌّ لِلْمُبَالَغَةِ أَوِ التَّعَدِّي، فَعَلَى كُلٍّ مِنْهُمَا إِشْكَالَاتٌ مِنْ حَيْثُ اللُّغَةُ وَالْحُكْمُ، لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ بَسْطِهَا»[٤٨]،و القول الثاني : «قال الفراء: يقول هو طهور ليس بنجس كما كان في الدنيا مذكورًا بالنجاسة، وعلى هذا: الطهور مبالغة من الطاهر. والمعنى: أن ذلك الشراب طاهر ليس كخمر الدنيا. وقال مقاتل: هو عين ماء على باب الجنة تنبع من ساق العرش من شجرة، من شرب منها نزع الله ما كان في قلبه من غش، وغل، وحسد، وما كان في جوفه من قذر، وأذى.»[٤٩].قيل بأن الله وضع الختان هو طهورًا للمسلمين أنَّ النصارى أبدلوا الختان بصبغة أطفالهم بماءٍ ليكون طهورًا لهم. فذَكِر احد العلماء: «وقال ابن عباس، فِي رواية الكلبي: صبغة الله يعني: دين الله، {وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً}[٥٠] يقول: دينًا؟ وذلك أن النصارى كان إذا ولد لأحدهم ولد فأتى عليه سبعة أيام صبغوه فِي ماء لهم ليطهروه بذلك، ويقولون: هذا طهور مكان الختان، وذلك حين جعلوه نصرانيا، وهم صنف من النصارى، فجعل الله الختان للمسلمين تنظيفا وتطهيرا، وأمر به معارضة للنصارى.»[٥١]بيّن الزمخشري في تفسيره: «أي: قدام المطر طَهُوراً بليغا في طهارته. وعن أحمد بن يحيى هو ما كان طاهرا في نفسه مطهرا لغيره، فإن كان ما قاله شرحا لبلاغته في الطهارة كان سديدا. ويعضده قوله تعالى وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وإلا فليس «فعول» من التفعيل في شيء. والطهور على وجهين في العربية: صفة، واسم غير صفة، فالصفة قولك: ماء طهور، كقولك: طاهر، والاسم قولك لما يتطهر به: طهور، كالوضوء والوقود، لما يتوضأ به وتوقد به النار. وقولهم: تطهرت طهورا حسنا، كقولك: وضوءًا حسنا، ذكره سيبويه. ومنه قوله صلى الله عليه وسلم، لا صلاة إلا بطهور أي طهارة. فإن قلت: ما الذي يزيل عن الماء اسم الطهور؟ قلت: تيقن مخالطة النجاسة أو غلبتها على الظنّ، تغير أحد أوصافه الثلاثة أو لم يتغير»[٥٢].في كلام آخر لتفسير طهورًا في قوله تعالى: «وَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً طَهُوراً» بأنّ الماء المنزل من السماء هو ماء مطهر خالص «هو بيان لرحمة الله، التي تقدّمتها «الرِّياحَ» معلنة البشرى بمسيرتها إلى الناس.. وفي وصف ماء المطر بأنه ماء طهور، إشارة إلى أنه ماء خالص، لم يختلط به شيء مما على الأرض، ولم تعلق به شائبة من شوائبها.. فهو ماء نقيّ صاف، طهور.. »[٥٣].

طهورًا في المستوى الصرفي و النحوي

و في قوله تعالى تعالى:{وأنزلنا من السماء ماء}[٥٤]إلى قوله تعالى:{وأناسيَّ كثيرًا} [55] فن التقديم والتأخير وهو فن عجيب دقيق المسلك خفي الدلالة، وهو قسمان: قسم يختص بدلالة الألفاظ على المعاني ، وقسم يختص بدرجة التقدم في الذكر و منه الآية التي نحن بصددها، فقد قدم حياة الأرض وإسقاء الأنعام على إسقاء الناس و إن كانوا أشرف الناس؛ لأنّ حياة الأرض هي سبب لحياة الأنعام و الناس، فلما كانت بهذه المثابة جعلت مقدمة في الذكر ولمّا كانت الأنعام مِن أسباب التعيش و الحياة للناس قدمها في الذكر عل الناس لأنّ حياة الناس بحياة أرضهم و أنعامهم فقدم سقي ما هو سبب نمائهم و معاشهم على سقيهم.[٥٦] يعرب الماء مفعول به للفعل أنزلنا، و طهورًا صفة للماء منصوبة مثلها بالفتحة و هي اسم فاعل بصيغة فعول بمعنى طاهر.[٥٧]و جاء قولٌ آخر لم يذكر بأنّ طهورًا اسم فاعل فقد قال: أنّ طهور غلى وزن فعول و لم يحدد جنس اشتقاقها نحو: «فالطهور: جاء على مثال فعول, و فعول في كلام العرب يجيء بمعاني مختلفة فمنها فعول بمعنى يفعل به مثل طهور وغسول, قرور, ووضوء فالطهور الماء الذي يتطهر به والغسول: الماء الذي يغتسل به ويغسل به الشيء»[٥٨].

تأويل (طهورًا) في السياق القرآني

القران الكريم نزلت آياته مترابطة متماسكة محكمة آياته و سوره كما جاء في قوله تعالى: {الر كتابٌ أُحكمتْ آياته ثُم فُصلتْ آياته مِن لدن حكيمٍ خبير}[٥٩]ويقول الدكتور طارق مصطفى: "صرح الزمخشري بنظم الكلم القرآني، ولفت في حديثه عن افتتاح القرآن واختتامه إلى كون القرآن وحدة واحدة"[٦٠]، فعند تحليل قوله تعالى: {وأنزلنا من السماء ماء طهورًا}[٦١]سنلاحظ ترابط دلالتها الدال على الخير و النعم و الرحمة مع الآيات السابقة

لها: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتٗا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورٗا وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ طَهُورٗا ٤٨﴾[٦٢] فتفسيرها: «لِباساً يعني: ستراً يستر جميع الأشياء وَالنَّوْمَ سُباتاً يعني: راحة للخلق ليستريحوا فيه بالنوم وَجَعَلَ النَّهارَ نُشُوراً أي: للنشور ينتشرون فيه لابتغاء الرزق. ثم قال عز وجل: وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّياحَ بُشْراً يعني: تنشر السحاب، والاختلاف في القراءات كما ذكرنا في سورة الأعراف بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ يعني: قدام المطر وَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ مَآءً طَهُوراً يعني: مطهراً يطهر به الأشياء، ولا يطهر بشيء لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً يعني: أرضاً لا نبات فيها، فينبت بالمطر وَنُسْقِيَهُ»[٦٣].نستخلص مما سبق أنّ (طهورا) اختلف المفسرون وواضعوا المعجم في معناها فمنهم من قال بأنها تعني الطهر الذي هو خلاف الدنس أي التطهر من كل دم و خبث، و قول آخر بأن طهور تعني ختان عند الطفل، و منهم من قال بأن طهور آلة يتطهر بها، و في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ طَهُورٗا لِّنُحۡيِيَ بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗا وَنُسۡقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقۡنَآ أَنۡعَٰمٗا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرٗا﴾ هو ماء المطر الذي أنزل إلى بلدة جدباء فأحياها و رزقها الخير. و(طهورا) اسم فاعل على وزن فعول.

المبحث الثالث: الغدق

واصل لفظة الغدق يعود إلى: "(غدق) الغين والدال والقاف اصل صحيح يدل على غزر وكثيرة ونعمة. من ذلك الغدق وهو الغزير الكثير"[٦٤]. وقال الزجاج: "الغدق المصدر والغدق اسم الفاعل يقال: غدق يغدق غدقا فهو غدق اذا كثُر الندى في المكان او الماء"[٦٥]. وشاب غيدق وغيداق اي ناعم والغيداق: الكريم، وولد الضب و الغياديق :الحيّات.[٦٦]وتعني الما الغزير.[٦٧] و ايضا تدل على المكان الخصب الذي يوجود فيه الماء «وماء غدق وغدق: كثير، وقد غدق غدقاً. ومكان غدق ومغدق: كثير الماء مخصب.»[٦٨]. وأضاف الزجاج ايضًا: "يُقَالُ: غَدِقَ يَغْدَقُ غَدَقاً فَهُوَ غَدِقٌ إِذا كَثُرَ الندَى فِي الْمَكَانِ أَو الماءُ، قَالَ: ويقرأُ مَاءً غَدِقاً.... الْمَطَرُ الْكِبَارُ القَطْرِ"[٦٩].

الغدق عند المفسرين

وردت لفظة الغدق مرةً واحدة في القرآن في قوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا ١٦﴾ [الجن : ١٦]، وتفسيرها كما ذُكر: "والمعنى وأوحى إلى أن الشأن لو استقام الإنس والجن أو كلاهما عَلَى الطَّرِيقَةِ التي هي ملة الإسلام لَأَسْقَيْناهُمْ ماءً غَدَقاً أي كثيرا"[٧٠]. وقيل عن تخصيص الماء بالغدق: "وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لأنه أصل المعاش والسعة ولعزة وجوده بين العرب"[٧١]. ومعنى وأن لو استقاموا على الطريقة قد قيل فيه قولان[٧٢]: أحدهما: لو استقاموا على طريقة الهدى، والآخر: لو استقاموا على طريقة الكفر.وخصص الله الخير بالماء الغدق لأنه الاصل عند العرب : "وتَخْصِيصُ الماءِ الغَدَقِ وهو الكَثِيرُ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُ أَصْلُ المَعاشِ والسَّعَةِ ولِعِزَّةٍ وجُودِهِ بَيْنَ العَرَبِ. و في لفظ الكلمة قالوا: وقوله: {غَدَقاً} الغَدَقُ بفتح الدال وكسرِها: لغتان في الماءِ الغزيرِ، ومنه الغَيْداقُ: الماءُ الكثيرُ، وللرجلِ الكثيرِ العَدْوِ، والكثيرِ النطقِ. ويقال: غَدِقَتْ عينُه تَغْدَقُ أي: هَطَلَ دَمْعُها غَدَقاً. وقرأ العامَّةُ «غَدقاً» بفتحتَيْن. وعاصم فيما رَوَى عنه الأعشى بفتحِ الغينِ وكَسْرِ الدالِ"[73].

غدق في المعنى السياقي

و في تفسير مطول لسيد قطب ذكر من خلاله عدة حقائق[74]:والحقيقة الأولى : هي الارتباط بين استقامة الأمم والجماعات على الطريقة الواحدة الواصلة إلى الله ، وبين إغداق الرخاء وأسبابه ؛ وأول أسبابه توافر الماء واغدوداقه . وما تزال الحياة تجري على خطوات الماء في كل بقعة . وما يزال الرخاء يتبع هذه الخطوات المباركة حتى هذا العصر الذي انتشرت فيه الصناعة ، ولم تعد الزراعة هي المصدر الوحيد للرزق والرخاء . ولكن الماء هو الماء في أهميته العمرانية . والحقيقة الثانية التي تنبثق من نص هذه الآية : هي أن الرخاء ابتلاء من الله للعباد وفتنة . ونبلوكم بالشر والخير فتنة . والصبر على الرخاء والقيام بواجب الشكر عليه والإحسان فيه أشق وأندر من الصبر على الشدة! على عكس ما يلوح للنظرة العجلى. فكثيرون هم الذين يصبرون على الشدة ويتماسكون لها، بحكم ما تثيره في النفس من تجمع ويقظة ومقاومة ؛ ومن ذكر لله والتجاء إليه واستعانة به ، حين تسقط الأسناد في الشدة فلا يبقى إلا ستره. فأما الرخاء فينسي ويلهي ، ويرخي الأعضاء وينيم عناصر المقاومة في النفس، ويهيئ الفرصة للغرور بالنعمة والاستنامة للشيطان والحقيقة الثالثة إن الإعراض عن ذكر الله ، الذي قد تنتهي إليه فتنة الابتلاء بالرخاء ، مؤد إلى عذاب الله . والنص يذكر صفة للعذاب (يسلكه عذابا صعدا) . . توحي بالمشقة مذ كان الذي يصعد في المرتفع يجد مشقة في التصعيد كلما تصعد . وقد درج القرآن على الرمز للمشقة بالتصعيد . فجاء في موضع : فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء . وجاء في موضع : سأرهقه صعودا . وهي حقيقة مادية معروفة . والتقابل واضح بين الفتنة بالرخاء وبين العذاب الشاق عند الجزاء

غدق في المستوى الصرفي

غدقا: صفة مشبّهة من الثلاثيّ غدق باب فرح بمعنى أعطى كثيرا، وزنه فعل بفتحتين.[75]

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، و الصلاة والسلام على سيدنا محمد و على آله وصحبه وسلم أجمعين.بعد رحلة بحثية في مضوعنا الموسوم "صفات الماء في القرآن الكريم"، تبيّن أنّ الماء ليس مجرد عنصر مادي في النص القرآني، بل هو عنصر غني بالدلالات اللغوية والرمزية التي تعكس بُعدًا إيمانيًا وتشريعيًا وكونيًا. فقد تكرر ذكر الماء في سياقات متعددة، وتنوعت صفاته بحسب المقام و الغرض البلاغي، مما يدلُ على عمق التعبير القرآني وثراء معانيه.وقد سعى هذا البحث إلى تتبع الصفات وتحليلها دلاليًا، انطلاقًا من السياقات المختلفة التي وردت فيها مفردة "الماء" ومشتقاتها فظهرت صفات: الطهور والمهين والدافق والثجاج والغير آسن و الملح الأجاج والعذب الفرات وغيرها وكل واحدة منها حملت دلالة خاصة تتوفق مع المقام الذي وردت فيه. كما أظهر البحث كيف وظّف القرآن الكريم صفات الماء للدلالة على قدرته سبحانه وتعالى في الخلق والإحياء و الإهلاك وعلى قدرته على بث الحياة في الأرض والقلوب واستخدامه كأداة للعقاب والثواب مما يعكس جمال تناسق بين اللغة والدلالة في النص القرآني. وقد خلص البحث إلى عدد كمن النتائج من أبرزها:

١- تنوع صفات الماء في القرآن الكريم يعكس مقاصد بلاغية ودلالية عميقة ترتب بالسياق العام للآية .

٢- احتل الماء مكانة مركزية في الخطاب القرآني بوصفه رمزًا للحياة والطهارة والعذاب بحسب المقام.

٣- دلّت الدراسة على أنّ السياق هو العامل الحاسم في توجيه الدلالة المعجمية للفظ الماء وصفاته.

٤- لقد أظهرت الدراسة إنّ صفات الماء في القرآن تتنوع دلاليًا بحسب السياق الذي ترد فيه إذ ارتبطت بعض الصفات بالماء الطاهر الذي يكون سببًا في الطهارة والنقاء مثل: ماءً طهورًا ، بينما ارتبطت صفات اخرى بالماء المؤذي أو المهلك مثل ملح أجاج أو ماءً غورًا، وكل ذلك في اطار بناء دلالي يعكس القدرة الألهية والتدبير الربانية في الخلق والتكوين.

٥- تبين من خلال التحليل الدلالي إنّ توظيف الصفات لم يكن مجرد وصف طبيعي بل حمل أبعاد إعجازية ومعنوية تخدم أهدافًا عقيدية وتربوية وتوجه الأنسان إلى التفكير في نعم الله وآياته في الكون، فالماء في القرآن يمثل مفردة مركزة تدور حولها معانٌ مركزية متشابكة ترتبط بالحياة والموت والرحمة والعذاب والنقاء والفساد.

٦- وقد كشفت الدراسة عن تدرج الدلالة في بعض السياقات حيث تأخذ الصفة المعنى الأولي ثُمّ تتطور لتؤدي معنى مجازيًا أو رمزيًا يعكس عمقًا فكريًا وتعبيريًا يدل على ثراء اللغة القرآنية ومرونتها الدلالية .

٧- يمكن القول إنّ التحليل الدلالي لصفات الماء في القرآن الكريم يعكس جانبًا من الإعجاز البياني للقرآن ويظهر كيف توظف المفردات بعناية لتؤدي المعنى بدقة وتناسق .

وفي الختام أسال الله أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم وأن ينفع به و الحمد لله أولًا وآخرًا.

هوامش البحث

[١] مقاييس اللغة: ١١٥/٦

[٢] العين: ٧٦/٢

[٣] المفصل في علم العربية: ١٤٠

[٤] ينظر معجم الباقلاني: ٢٢

[٥] نتائج الفكر في النحو ،السهيلي: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله ، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، دار الاعتصام: ٢٠٢

[٦] الملخص في ضبط قوانين العربية، ابن أبي الربيع، أبو الحسين عبيد الله بن أبي جعفر، تحقيق: علي بن سلطان الحكمي، الطبعة الاولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م: ٥٤٩/١

[٧] المصدر نفسه: ٥٤٩/١

[٨] شرح مُلِحة الإعراب، الحريري، أبو محد قاسم بن علي (٥١٦هـ)، تحقيق: فائز فارس، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى،١٤١٢هـ - ١٩٩١ م :١٨٦

[٩] ابن الناظم، شرح ألفية ابن مالك:١٧٠

[١٠] أقسام الكلام من حيث الشكل والوظيفة، فاضل ساقي:٢٢١

[١١] ينظر شرح ابن عقيل :١٤٠

[١٢] أساس البلاغة: ٢٩٥/١

[١٣] المفردات في غريب القرآن: ٢٢٨/١

[١٤] ينظر لسان العرب:٧/ ١٥٢ – ١٥٣

[١٥]ينظر مقدمة لدراسة علم الدلالة: طالب محمد اسماعيل: ١٨ – ١٩

[١٦] ينظر الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري: ٦٨

١– معجم مقاييس : اللغة٢٨٦\٢

٢– معجم مختار الصحاح:٢٠٧

٣– معجم لسان العرب:٣٧٣\١٤

٤– معجم القاموس المحيط،:٤٣٧

٥– ينظر: تفسير التحرير والتنوير:٢٦٣\١٣

٦– تفسير الطبري :٢٩٢\٢٤

٧– تفسير الكشاف٣٥٣\١٦

٨– تفسير التسهيل لعلوم التنزيل:٩٧٧–٩٧٨

٩– تفسير النسفي٣٣١\١٤

[٢٦]– اعراب القران وبيانه: ٤٤٢/١٠

[٢٧]– معاني القران:٢٥٥\١٣ , و ينظر ما خالف معناه مبناه:١٢

[٢٨]– المصدر نفسه:١٥\١٣–١٦

[٢٩] تسهيل الفؤائد:١٣٦

[٣٠] اعراب القران:٦٧٣\١٣–٦٧٤

[٣١] تلخيص البيان في مجازات القرآن :٣٤٤، وينظر البلاغة العربية ١٢ – ١٣.

[٣٢] ينظر التلخيص في علوم البلاغة :٤٥، واساليب المجاز في القرآن ١٦٠ – ١٦١.

[٣٣] ينظر اساليب المجاز ص١٦٢.

[٣٤] جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر محمد، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٠ م، ٢٥٤/٢٤

[٣٥] العين١٩/٤

[٣٦] الفرقان:٤٨

[٣٧] مقاييس اللغة:٤٢٨/٣

[٣٨] البقرة:١٣٨

[٣٩] تهذيب اللغة :١٠١/٦

[٤٠] المدثر:٤

[٤١] المصدر نفسه:١٠٠/٦

[٤٢] مجمل اللغة :٤٨٨

[٤٣] الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية: ٧٢٧/٢

[٤٤] المحكم و المحيط الأعظم:٢٤٥/٤

[٤٥] لسان العرب:٥٠٤/٤

[٤٦] سورة الفرقان: ٤٥

[٤٧] تفسير الفرطبي:٣٩/١٣

[٤٨] تفسير ابن كثير:١١٤/٦

[٤٩] التفسير البسيط:٥٦/٢٣

[٥٠] البقرة:١٣٨

[٥١] تفسير الوسيط:٢٢٢/١

[٥٢] تفسير الكشاف:٢٨٤/٣

[٥٣] التفسير القراني للقران:٣٦/١٠

[٥٤] سورة الفرقان:٤٨

[55] سورة الفرقان:٤٩

[٥٦] اعراب القران الكريم و بيانه:٢٥/٥

[٥٧] الاعراب المفصل لكتاب الله المرتل:١٣٥/٨

[٥٨] الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي:٣٠٩/١

[٥٩] سورة هود:١

[٦٠] التناسب في سورة البقرة؛ للدكتور طارق مصطفى محمد:ص١٨ .

[٦١] سورة الفرقان:٤٨

[٦٢] سورة الفرقان:٤٧-٤٨

[٦٣] تفسير السمرقندي:٥٤٢/٢

[٦٤] مقاييس اللغة: ٤١٥\٤

[٦٥] معاني القرآن واعرابه:٢٣٦\٥

[٦٦] ينظر تجديد الصحاح: ٣٦٥٨

[٦٧] المحكم المحيط: ٣٨٣\٥

[٦٨] اساس البلاغة: ٦٩٥\١

[٦٩] لسان العرب: ٢٨٢\١٠-٢٨٣\١٠

[٧٠] روح المعاني:١٠٠\١٥

[٧١] أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٢٥٣\٥

[٧٢] الحجة للقراء السبعة: ٣٣١\٦

[73] الدر المصون للسمين : ٤٩٦/١٠

[74] في ظلال القران لسيد قطب

[75] الجدول في إعراب القران